منهجيّة الشّيخ الطّاهر الزّاوي في تأريخ التّراجم: كتاب أعـلام ليبيا أنموذجـاً.

أ.د. عبد الواحد عبد السلام شعيب*

مقدمة: على الرّغم من الأهمّية المصدريّة الكبيرة لكتابَيْ (**التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**) لابن غلبون، و(**المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**) لأحمد الدّائب الأنصاري، في دراسة تاريخ طرابلس الغرب بخاصّةٍ، وتاريخ ليبيا بعامّةٍ، فإنّ كتاب (**أعلام ليبيا**)للشّيخ الطّاهر الزّاوي، لا يقلّ شأناً وقيمةً عن هذين الكتابين؛ لكون أنّ صاحبَهُ قد حاز قَصَبَ السّبق في تقحّم هذا الميدان وتأليف هذا المجموع، الذي أرّخ وترجم فيه، لعددٍ جمٍّ من رجالات ليبيا وأعلامها، ممّن أسهموا بدورٍ فاعلٍ في فنون العلم، وضروب المعرفة، كالفقه، والحديث، والتّفسير، والتاريخ، والأدب، والشّعر، والتصوّف، ناهيك عمّن تقلّد منهم منصبَ الإمارة، أو القضاء، أو الفُتيا، أو من امتهن مهنة الصّحافة، أو غيرها.

وعليه فإنّ هذا المؤلّفَ الحافل (**أعلام ليبيا**)، يُعدُّ أولُ كتابٍ من نوعه، جَمَعَ من أعلام ورجالات هذا البلد[1]، ملم يجمعْهُ غيرُهُ من المؤلّفين السّابقين، لا بل يجعل من صاحبه رائداً في هذا المجال، دون منازعٍ وإن كان قد فات المؤلّفَ التّرجمةُ لعددٍ من الأعلام الليبيّين الآخرين، الذين ربما كان بعضهم أهم ممّن خُصُّوا بالتّعريف والتّرجمة في هذا الكتاب[2].

ولكن يبدو أنّ بعض الباحثين المحدثين، قد تنبّه إلى هذه القضيّة، وأقصد بذلك الأستاذ الدكتور البحّاثة محمود علي مكي، الذي علّق على هذا الكمّ الذي جمعه الشّيخ الزّاوي، من التّراجم الليبية، في هذا الكتاب، حين قال: "ونظنّ أنّ هذه التّراجَم، التي تبلغ أكثر من أربعمائة، ليست إلا منتخباً، قام به المؤلّفُ، إذ إنّ أعلامَ القطر الليبي، ينبغي أن يجاوز هذا العددَ بكثير، من خلال ثلاثة عشر قرناً، ولكنّ المادّةَ التي جمعها الأستاذ الزّاوي، طيبةٌ على أيّة حالٍ، ولها قيمتُها في وضع لَبِنَةٍ في بناء تاريخ هذا القطر العربي الشّقيق"[3].

بَيْدَ أن الأستاذ الدكتور البحّاثة: محمد مسعود جبران ـ الذي بَّجَ مقدمةً حافلةً، في ترجمة الشّيخ الطّاهر الزّاوي، وآثاره العلميّة، برؤيةٍ تحليليّةٍ ونقديّةٍ رصينةٍ ـ قد وافق الأستاذ مكي، فيما ذهب إليه، على أنّ كتابَ (**أعلام ليبيا**)، لم يكن سوى منتخباً للأعلام الليبيّين، وليس معجماً شاملاً لكافّة هؤلاء الرّجال، الذين عرفتهم ليبيا، عبر عصورها الطويلة الماضية.

* أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية- كلية الآداب- جامعة طرابلس- ليبيا.

ولكن مع هذا كلِّه، فإنه بإمكاننا القول: إن كتاب (**أعلام ليبيا**)، رغم أنه جاء أشبه بمنتخبٍ للتعريف بالأعلام والرجال الليبيّين، كما أشار إلى ذلك كلٌّ من الباحثَيْن والأَدِيبَيْن الكبيرَيْن (مكي، وجبران)، إلا أنه سيظلُّ يحتفظ بصفة الشُّموليّة، في دراسة أعلام ليبيا، والإلماع بأخبارهم وآثارهم، لعدم وجود أيّ كتابٍ يضاهيه، أو ينافسه على الأقلّ في هذا الميدان.

وهكذا، وبناءً على ما تقدّم، فإني ارتأيت أن أدرس هذا الموضوع المركز في المحاور التالية:

- تأثير غيرته على وطنه في تاريخيّته.
- عنايته بالخطاب المقدّماتي في تآليفه.
- تقنيّاته في كتابة التراجم الإخباريّة.
- بعض الملاحظات على تأريخه لأعلامه.

أولاً: تأثير غيْرته على وطنه في تاريخيّته: إذا كانت الثقافةُ الواسعةُ، والأخذُ بنصيبٍ وافرٍ من أفانينَ العلم المختلفة، هو دَيْدَنُ معظم علمائنا الأوائل، وفي الحقبة الإسلامية الوسيطة، على وجه الخصوص، فإنّ الشّيخ الطّاهر الزّاوي، كان قد سار على هدي هؤلاء، سواءٌ من حيث الاقتداء بطرائقهم، واستنهاج سبيلهم، أم من حيث الإلمام والدّراية ببعض العلوم، أم من خلال الرّحلة في طلب العلم وملاقاة الشيوخ، الأمر الذي أكسبه ثقافةً موسوعيةً، لُغَويّةً، وفقهيّةً، وتاريخيّةً، وأدبيّةً، وغيرها.

يُضاف إلى ذلك أن غيرة الشّيخ الطّاهر الزّاوي، على وطنه ليبيا، وإيثاره لرجالها وأعلامها، وشغفه بتراث هذا البلد ومآثره، قد دفعه إلى التّصدّي للتّأليف والتّصنيف العلميّ ذياداً عن هذا الوطن، ودفاعاً عن هُويّته.

ولما كان الأستاذ الدكتور: محمد مسعود جبران، قد كفاني دراسةَ مؤلّفاتِ ومصنّفاتِ هذا العالم الجِهْبَذ، من خلال التّرجمة الوافية، التي خصصها للتعريف به وبتآليفه القيمة، والتي جاءت أشبه بتقديمٍ لكتاب (**أعلام ليبيا**)، فضلاً عمّا أضْفَتْهُ على هذا الكتاب القيّم من زخمٍ علميٍّ ومنهجيٍّ، لذا فإنّي سأقتصر على ذكر بعض الإشارات أو الإيماءات، التي تعيننا على بلوغ المعنى، واستيفاء المطلوب.

غير أنّ من اللاّفت أن غيرة الشّيخ الطّاهر الزّاوي على ليبيا وحبَّه لها قد تجسّد في عدّة مستوياتٍ منها:

كثرة تآليفه ومصنّفاته العلميّة، التي أَنَافَتْ عن العشرين مؤلّفاً، في فروع العلم المختلفة، كالتاريخ، والفقه، والأدب، واللغة، والجغرافيا، وغيرها، وهذا راجعٌ إلى أنّ شغفَهُ بوطنه وإيثاره له، جرّهُ إلى الدّفاعِ عنه بالقِرْطَاسِ والقلمِ، والتّشاغل بالبحث والتأليف، حتى أضحى من الأعلام والباحثين المحدثين، الذين عُرفُوا بكثرة التّأليف والكتابة، ليس على مستوى ليبيا وحسب، بل وعلى مستوى الوطن العربيّ قاطبةً.

ب- تَهَمُّمُهُ بالتأليف التاريخيّ، أو بمعنى آخر غلبة الاهتمام التاريخيّ لديه، إذ نلاحظمن خلال حصر مؤلَّفاته وتعدادها، أنّ كُتَبَهُ في التاريخ نالت نصيبَ الأسد، مقارنةً بمصنَّفاته العلميّة الأخرى، في غير هذا العلم، ولكي نستوضح أكثر، فإنّ مؤلَّفاتِهِ التاريخيّةَ هي:

- **عمر المختار.**
- **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب.**
- **تاريخ الفتح العربي في ليبيا.**
- **أعلام ليبيا.**
- **جهاد الليبيّين في ديار الهجرة.**
- **ولاة طرابلس.**
- **تاريخ مدينة الزاوية "مخطوط ".**

وفي ميدان التّحقيق:

- تحقيق كتاب (**التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**)، لابن غلبون.
- تحقيق كتاب (**المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**) لأحمد النّائب الأنصاريّ (**الجزء الثاني**).

إذن ومن خلال هذه القائمة من المؤلَّفات التاريخيّة، للشّيخ الطّاهر الزّاوي، والتي بلغت تسعة كتبٍ ـ يتبيّن لنا جلياً، أنها تمثّل حوالي نصف مجموع تآليفه التي أنجزها، إذ إنّ عدّةَ مؤلَّفاته كاملةً، هي واحدٌ وعشرون كتاباً.

ج- تكمن عملية تأثير غيرة الشّيخ الزّاوي على وطنه كذلك، في انتقاء واختيار عناوين كتبه، التي جاءت أكثر تعبيراً، عمّا يجول في خلده، ويجيش في خاطره، من حبٍّ خالصٍ لهذا الوطن، واعتدادٍ كبيرٍ بمكانته ومنزلته بين البلدان والأصقاع الأخرى.

ومن هذه المسمّيات على سبيل التمثيل لا الحصر:

1- **أعلام ليبيا .**
2- **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب.**
3- **جهاد الليبيين في ديار الهجرة.**
4- **ولاة طرابلس.**
5- **معجم البلدان الليبية.**

د- اضطلاعه بالتّأليف في مجال الجُغرافية التاريخيّة، أسوةً بكبار المؤرّخين والجغرافيّين المسلمين، الذين مزجوا بين هذين القّين ـ التاريخ والجغرافيا ـ في كتاباتهم، أمثال: البكري (ت 487هـ) في (**المسالك والممالك**)، والإدريسي (ت560هـ) في (**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**) وياقوت الحموي (ت626هـ) في (**معجم البلدان**) وغيرهم.

ومن هنا فإن كتابه (**معجم البلدان الليبية**) يدخل في هذا الإطار، إذ إنّ حجمَ المادة التاريخيّة فيه، قد يفوق في كثير من الأحايين، حجم المادة الجغرافيّة. وعلى أيّة حالٍ فإنّ هذا الكتاب، ما هو إلا من باب المفاخرة والمباهاة بمدائن ليبيا، ورجالاتها الذين جاهدوا بالسّيف والقلم.

هـ-أن المسئوليّة العلميّة، حتّمَتْ عليه التّرجمةَ لأعلام بلده والتّأريخَ لهم، عرفاناً بهم وبفضلهم، وليُعْلَمَ أنّ هذا البلدَ ليس غُفلاً عُطلاً من العلماء وذوي النّباهة، كما يدّعي البعضُ من الجاحدين، ولذلك يقول صاحِبُنَا في افتتاحية مقدّمة الطّبعة الثانية من كتابه **أعلام ليبيا**: "وهكذا ليعلم الناسُ أنّ ليبيا مثل ما في بلاد العالم، ممّن يستحقون التّكر، وتفخر بهم الأجيالُ اللاّحقة"[4].

و- جعل الشّيخ الزّاوي التّأليف والكتابة في **أعلام ليبيا** هو من باب الاتّعاظ والعبرة، ومن باب الوفاء لهم، والاعتراف بجهودهم ونشاطهم، حيث يُسْتَشَفُّ ذلك من قوله: "ولهذا النّوع من المواطنين حقوقٌ في أعناقنا، أوجبت علينا أن نذكر من حسناتهم، ما يستوجبون الترحّم منّا، وما يحفّز أبناءنا للاقتداء بهم، في الدّفاع عن شرف الوطن وكرامته"[5].

زدَأ ْبُهُ وتفانيه في البحث والتّنقيب والتنقير في المصادر والمظانّ، عن أخبار أعلام بلده، ما استطاع لى ذلك سبيلاً، وذلك عندما ألزم نفسه بهذا المبدأ قائلاً: "ولئن طالت لي الحياةُ، لأبحثنّ عن كلّ من قدّم للوطن معروفاً، يستحق الشّكر عليه لأشكره، وأسجّل اسمه في **أعلام ليبيا** إن شاء اللهُ ولأكون قد أدّيتُ ما وجب عليّ لهؤلاء المواطنين الأفاضل"[6].

وربما تكون هذه الطّريقة، التي سلكها الزّاوي في الاهتمام، والتّهمُّم بجمع ولملمة أخبار مترجميه، وذكر مناقبهم ومآثرهم، طوال حياته، هي ائتساءً أو تأسياً بطرائق بعض مؤرِّخينا الأفذاذ الأوائل، مثل المُحدّث والمؤرّخ الأندلسيّ الكبير أبو الوليد بن الفرضي[7] (ت403هـ)، رائدُ علم التّراجم الإخباريّة في الأندلس، وصاحب كتاب **تاريخ علماء الأندلس**، الذي اتّخذه المؤرّخون الأندلسيّون والمغاربة من بعده، أسوةً ومنهاجاً، في التّذييل عليه، والتّأليف على منواله، بمجموعةٍ من المؤلّفات في هذا الشّأن، عُرِفَتْ باسم كُتُب **الصّلات الأندلسيّة**، بدأها أبو القاسم بن بشكوال (ت 578هـ)بمؤلّفه **كتاب الصّلة**، واختتمها لسانُ الدّين بنُ الخطيب (ت776هـ) في القرن الثّامن الهجريّ - الرّابع عشر الميلادي بكتابه **عائد الصّلة**.

وعليه فإنّ ابن الفرضي قد صرّح في مقدّمة كتابه المذكور قائلاً: "أَمَلُنا جمعُ الكتاب الذي تقدّم ذِكرُهُ على البلدان، وتقصّي ما اختصرناه في كتابنا هذا من الحكايات والأخبار، إن تأخّرتْ بنا مُدّةٌ، وصَحِبَتْنا من الله مَعُونةٌ"[8].

ح- مشاركته الفاعلة في إحياء بعض كتب التّراث، ألا وهي تحقيقه لكتابَيْ **التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار** لابن غلبون، والجزء الثاني من كتاب **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب** لأحمد النائب الأنصاري، وهما أهم مصدرين لتاريخ ليبيا، خلال ثلاثة عشر قرناً على الإطلاق، وما إقدام الشّيخ الزاوي، على تحقيق هذين السّفرين القيّمَيْن، إلا دليلٌ قاطعٌ على مدى عنايته الفائقة، وحرصه الشديد، على إحياء تراث وطنه، والدفاع عن مآثر رجاله الأفذاذ.

ثانياً: عنايته بالخطاب المقدّماتي في تآليفه: تجسدّت الثّقافة الواسعة للشّيخ الطّاهر الزّاوي، في كافّة مؤلّفاته ومصنّفاته العلميّة، التي شارك بها في الميدان العلميّ والفكريّ، وعلى الأخصّ في مقدّمات كُتُبه، التي جاءت على درجةٍ كبيرةٍ من الدّقّة والإتقان، ومن الإيعاب والإيجاز، ناهيك عن استيعابها لمضمون الموضوع وجزئيّاته.

وبالرّجوع إلى مقدّمة الطّبعة الأولى لكتابه الحافل **أعلام ليبيا** نُلحَظُ أنّها جاءت مركّزةً ومعبِّرةً من ناحيةٍ، ومتنظمةً مع موضوعه الذي جعله شغلَهُ الشاغلَ، وهو التّرجمة للأعلام الليبيّين الذين لم ينالوا حظّهم من الدّراسة والبحث والتقصّي، من ناحيةٍ أخرى.

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ وحسب، بل تعدّاه إلى أنّ هذه المقدّمة الجيّدةَ، تُعْتبَر من المقدّمات التي تتوفّر فيها الشّروط التي ينادي بها منهجُ البحث العلميّ الحديث، والتي يمكن حصرها في النّقط التالية[9]:

أ- التنبيه إلى أهميّة الموضوع وتفرّده في بابه، وذلك عندما صرّح بأن كتابه **أعلام ليبيا** هو "أول كتابٍ من نوعه جمع من أعلام ليبيا ما لم يَجْمَعْهُ غيرُهُ"[10].

ب- الإفصاح عن القضايا والجوانب التي خصّها بالدّراسة فيه، أو بمعنى آخر، مدى شُموليّة كتابه في التّرجمة والتّأريخ لهؤلاء الأعلام، باختلاف ثقافاتهم واهتماماتهم، فمنهم الفقهاءُ، والمحدّثون، والمفسّرون، واللُّغَويّون، والفرضيون والأدباءُ والشعراءُ، والسّاسةُ، والصّحفيّون، وغيرُهم.

ج-تلميحُهُ إلى بعض الصّعاب التي اعْتَوَرَتْ سبيلَهُ، في جَمْعِ وكتابة هذا الشّتيت، إذ يُفْهَمُ من قوله: "ولقد كانت هذه الأعلامُ مبعثرةً في بطون الكتب، منتثرةً في معاجم التّراجم، لم يُكْتَبْ لها أن تُجْمَعَ هذا الجمع، ولا في هذه الكثرة"[11].

د- الاعتراف بالدّراسات السّابقة، أو الإشارة إلى أهمّ المصادر التي استقى منها مادّته التاريخيّة، مثل كتاب **المنهل العذب** لأحمد النّائب الأنصاريّ، و**التّذكار** لابن غلبون، و**روضة الأزهار** للبرموني.

هـ- الاعتراف بفضل السّابقيّة للمؤرّخ أحمد النّائب الأنصاري، في إماطة اللّثام عن العديد من الأعلام الليبيّين، الذين ظهروا في العصر التركي[12]، والذين لم يجد لهم ذكراً في أيّ مصدر آخر غيره.

و- توخّيه الأمانة العلميّة في التعامل مع مصادره مثل قوله: "وقد اطّلعتُ على مختصر تاريخ البرموني، وأخذتُ منه بعضَ التّراجَم، ومعلوماتٍ عن بعض القبائل العربية"[13].

ز-كما أنّ درايته المنهجيّة، ودُربته اللُّغَويّة، حتّمَتْ عليه تَجَشُّمَ المجاشم، من أجل التّمييز بين الأعلام المنسوبين إلى مدينة طرابلس، دون تحديدٍ، أهي طرابلس الغرب، أم طرابلس الشّام[14].

ومن نافلة القول، فإنّ مسألة إزالة مثل هذا اللّبس بين المدن والحواضر الإسلامية، قد حذا بالمؤرِّخ والجغرافيّ الكبير ياقوت الحموي (ت626هـ) صاحب كتابَيْ **معجم البلدان** و**معجم الأدباء** أن يؤلِّف كتاباً في هذا المعنى سمّاه (**كتاب المُشْتَرك وَضْعاً والمُفْتَرق صَقْعاً**) وذلك للتفريق مثلاً بين طرابلس الغرب، وطرابلس الشّام، وبين مدينة باجة في الأندلس، وباجة في أفريقية "تونس" وغيرها.

ح- تضمّنت بعضُ مقدّمات كُتُبِه التاريخيّة، الإشادة بأهميّة علم التاريخ وخطورته، وهذا راجعٌ إلى شغفه وولعه بهذا العلم، الذي دوّن فيه أكثر تآليفه وكُتُبَه - كما أسلفنا - ولذلك نراه يعبّر عن هذا أصدق تعبير، أثناء تقديمه لتحقيق كتاب **التّذكار** لابن غلبون الذي جاء فيه: "للتاريخ أثرُه في كل الأمم قديماً وحديثاً، وتبارى في مضماره العلماءُ وجهابذةُ الأخبار، وخصّصوا له الكثير من أوقاتهم، حتى صار الوصولُ فيه إلى أيِّ حدٍ مقياسَ الباحث بين الباحثين، وميزاناً توزن فيه أعمال الرّجال في الهيئة الاجتماعية، ذلك لأنّ التاريخَ مرآةُ الأمم"[15].

ط- يبدو أنّ اختيار الشّيخ الطّاهر الزّاوي لهذا العنوان الرّائع لكتابه **أعلام ليبيا**، والذي جعله كذلك أوّل عبارةٍ في مقدّمته لهذا المؤلَّف، يَنُمُّ عن مدى محاكاته، أو مجاراته للمؤلِّفين الذين سبقوه، في تسمية بعض كتبهم ومظانّهم بهذه التّسمية، وأقصد بذلك استعمالهم لكلمة **أعلام**، فمن هؤلاء على سبيل التّمثيل لا الحصر: مؤرّخ الإسلام شمس الدّين الذّهبي (ت748هـ) الذي كان له كتابان، يحملان هذا الاسم، الأوّل، موسوعته الضّخمة في التّراجم **سِيَرُ أعلام النُّبلاء** والثاني **الإعلام بوفيات الأعلام**، وكذلك المؤرّخ والأديب الأندلسيّ الشّهير لسان الدّين ابن الخطيب (ت776هـ) في مؤلَّفه **أعمال الأعلام فيمن بُويِعَ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، ثم أبو عبد الله ابن عسكر (ت636هـ)، وابن أخته ابن خميس (ت638هـ) في كتابهما **أعلام مالقة**، وكذلك العبّاس بن إبراهيم في كتابه (**الإعلام بمن حلّ مرّاكش وأغمات من الأعلام**) وأخيراً خير الدين الزّركلي في موسوعته الحافلة **الأعلام** وغيرهم.

ي- التزامه في مقدّمة كتابه **أعلام ليبيا** على الأقل، بإمكانيّة توسيعه وزيادة مادّته، وذلك عن طريق سعيه الحثيث، من أجل التّرجمة والتأريخ لمن أغفله من الأعلام،

أو ممّن لم تسعفه الظروف، في الإتيان بشيءٍ من أخبارهم، أو فِقَرٍ من سِيَرهم، إذ تعهّد بذلك قائلاً: "وما زال من هذا النوع جنودٌ مجهولون، يجب البحث عنهم في بطون الصحراء وأوديتها، وفي بلاد المهجر، لنلحقهم بمن أتاحت لنا الفرصة، العثور عليهم، وفاءً بحقّهم، وإعلاءً لقدرهم"[16].

بيد أنّ هذا النّصّ يمكن أن نستنتج منه شيئين اثنين:

أوّلهما: تفرّغ صاحبه للبحث العلميّ، وعكوفه على التّنقيب والتّقصّي لأخبار وآثار علماء بلده ورجالاتها، إعلاءً لشأنهم، واعترافاً بفضلهم وجميلهم.

وثانيهما: أن مسئوليّتَه الوطنيّة وغَيْرتَه على هذا البلد، استوجبت منه ألا يترك شاذّةً ولا فاذّةً، ولا شاردةً ولا واردةً، تتصل بموضوع كتابه هذا، إلا وقد جمعها ووقف عليها.

ك- تنبيهه للقارئ باستخدامه للمنهج النّقدي في كتابته التاريخيّة، مثلما عبّر عن سخطه واستيائه من الحكم التركي، الذي وصفه بالفساد والتخلّف، وما سينجم عن ذلك من انعكاس سلبي على حياة مترجميه[17]، وعطائهم الثقافي والفكري.

ل-نظرته إلى اعتبار أنّ البحثَ في تاريخ ليبيا، ما هو إلا رسالةٌ إنسانيّةٌ ساميةٌ، يجب أن تتوارثه الأجيال الليبيّة اللاّحقة في المستقبل، كابر عن كابر، وخالفٍ عن سالفٍ، وذلك عندما قال: "وسيكون في وسع أحفادنا جمعُ مالم تتّسعْ له مقدرتنا- أي المؤرّخين القدامد فإن تطوّر الزمن، واتّساع ميدان البحث العلميّ للعثور على أحداث الزمن، أصبح ميسوراً في زمننا أكثر ممّا كان في زمنهم، وسيكون في زمن أحفادنا أكثر يسراً وأقل كلفة"[18].

ثالثاً: تقنيّاته في كتابة التّراجم الإخباريّة: إنّ أوّلَ ما يُلاحَظ على منهج الشّيخ الطّاهر الزّاوي في التأريخ لتراجمه، هو اضطلاعهُ بجمع مادته العلميّة من مصادرَ ومراجعَ متعدّدةٍ ومتباينةٍ، حرصاً منه على التعريف بأكبر قدر ممكن من أعلام بلاده، الذين لم يول الباحثون المحدثون، بالتّرجمة لهم وحصرهم في مؤلّفٍ واحدٍ، مثل كتابه المذكور **أعلام ليبيا** الذي نال فضل الرّيادة في هذا الميدان، كما أسلفنا دون شك.

وهكذا فقد تعدّدت المادّة المصدريّة للشّيخ الطّاهر الزّاوي في هذا الكتاب بشكلٍ كبير، بحيث اعتمد فيه على معظم أنماط أو فروع الكتابة التاريخيّة مثل: كتب التاريخ العام، وتاريخ التّراجم، وتاريخ الطّبقات، والتاريخ المحليّ، وتواريخ الأدب، وكتب الفهارس والبرامج والمشيخات، والسِّيَر الذّاتية، والجغرافيا التاريخيّة، وأدب الرّحلات، وبعض كتب المناقب والكرامات، وغيرها.

فمن كُتُبِ التّاريخ العام التي اتّكأ عليها في استقاء مادّة تراجمه **تاريخ الإسلام** لشمس الدين الذّهبي، و**البداية والنّهاية** لابن كثير.

وبالنّسبة للتاريخ المحلّي فهناك **التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار** لابن غلبون، و**المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب** لأحمد النّائب الأنصاريّ، و**تاريخ مصر** للجبرتي، و**النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة** لابن تغرى بردي، و**تاريخ طرابلس** للبرموني.

أما كتب التّراجم فمنها **تاريخ علماء الأندلس** لأبي الوليد بن الفرضي، و**كتاب الصّلة** لأبي القاسم بن بشكوال، و**الوافي بالوفيات** للصّفديّ، و**شذرات الذّهب في أخبار من ذهب** لابن العماد الحنبلي.

وفيما يتعلّق بكتب الطّبقات، مثل ا **لدّيباج المُذهّب في معرفة أعيان المَذْهَب** لابن فرحون المالكي، الذي ذيّل به موسوعة القاضي عياض في تراجم علماء المالكية **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، و**نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج** لأحمد بابا التُّنبُكتي، الذي ذيّل به ديباج ابن فرحون، ثم مختصره **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج**للتُّنبُكتي أيضاً، و**رياض النفوس** للمالكي، و**معالم الإيمان لمعرفة أهل القيروان** لابن الدّباغ، و**الضوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع** للسّخاوي، و**الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة** لابن حجر العسقلاني، و**بغية الوعاة في طبقات اللُّغويّين والنّحاة** للسّيوطي، و**فوائد الارتحال ونتائج السّفر في أعيان القرن الحادي عشر** لمصطفى الحموي، و**شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة** لابن مخلوف التونسي.

ومن كتب الفهارس والبرامج والمشيخات فهناك **معجم السّفر** لأبي طاهر السّلفي، و**فهرس الفهارس**لعبد الحيّ الكتّاني.

وفيما يختصّ بتواريخ الأدب فنذكر **يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر** لأبي منصور الثّعالبي، و**خريدة القصر وجريدة العصر** للعماد الأصفهاني.

أما المصادر الجغرافيّة فمنها **معجم البلدان** لياقوت الحموي.

ومن كتب التصوّف والمناقب والكرامات **الكنّاشة** لأحمد زرّوق، و**صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر** للمرّاكشي، و**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، فيمن أُقْبِرَ من العلماء والصلحاء بفاس** للمرّاكشي.

وأخيراً، نأتي إلى كتب الرّحلات والتي من بينها **الرّحلة النّاصريّة**، و**رحلة التِّجاني**، و**رحلة العيّاشي**، و**رحلة ابن رشيد السبتي**.

وبالإضافة إلى هذه المصادر، فهناك بعض المراجع الحديثة سواءٌأكانت كتباً مثل: كتاب الزّاوي نفسه **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، الذي نقل منه في بعض التّراجم، أم عددٌ من المجلاّت والدّوريّات، التي رجع إليها المؤلّف في بعض الأحايين.

وفضلاً عن كل ما تقدّم، فقد كان للمعاصرة والمشاهدة أيضاً دورٌ مهمٌ في جمع ولملمة المادّة المعلوماتية حول المُتَرْجَم له، إذ إنّ العديد من الأعلام قد أرّخ لهم المؤلِّفُ، اعتماداً على معلوماته الخاصّة، وطريقته في الكتابة التاريخيّة بوصفه شاهد عيان، وجزءاً من الحدث نفسه.

وأمّا بالنّسبة للطريقة التي انتهجها الشّيخ الزّاوي في التّرجمة للأعلام، فهي لا تكاد تختلف عن طريقة علماء التّراجم الأوائل، الذين كانوا يهتمّون بالتعريف باسم المترجم له تعريفاً كاملاً، مع تحديد لقبه، ونسبه، وكنيته، ثم ذكر بلده أو مسقط رأسه، وشيوخه الذين أخذ عنهم العلم، والعلوم التي نبغ فيها، وذكر رحلته العلميّة إنكانت له رحلةٌ، والإشارة إلى آثاره العلميّة من كتبٍ ومصنَّفاتٍ، ثم الإتيان بلُمَعٍ من أخباره، وفِقَرٍ من سيرته، وأخيراً تحديد تاريخ وفاته والمكان الذي دُفِنَ فيه وذكر سنة ميلاده إن أمكن.

ويمكن أن نستشهد هنا، بإحدى التّراجم التي تتجلّى فيها تقنياته التاريخيّة بوضوحٍ، وذلك على سبيل التّمثيل لا الحصر، ألا وهي:

ترجمة إبراهيم بن علي بن عبد الحميد العوسجي، أبو إسحاق: التي جاء فيها "ولد سنة 904هـ ببلده الحرشا (قرية من قرى الزاوية) وحفظ القرآن على والده، وهو صغير السّنّ، وتفقّه على الشّيخ النّاصر اللّقاني وغيره.

وكان فاضلاً، واعظاً، يعظ الناس ويرشدهم، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، وانتفع الناس بعلمه ووعظه.

ولقي الشيخ عبد السلام الأسمر، وأخذ عنه التلقين، وتتلمذ له.

توفي سنة 998هـ ودفن ببلدة عوسجة الجديدة بجامعه الذي ما زال معروفاً به عليه رحمة الله ورضوانه"[19].

غير أنّ هذا النّص يمكن أن نستوضح منه ما يلي:

أ-أنّ المؤلِّفَ أي الشيخ الزّاوي لم يُشِرْ إلى المصادر، أو المصدر الذي اعتمد عليه في كتابة هذه التّرجمة.

ب-أنه نَهَجَ فيه منهج الاختصار والتّركيز والإيجاز.

ج- أنه قد بدأ بذكر تاريخ مولد هذا العالم، وانتهى بذكر تاريخ وفاته، وهو بذلك يخالف طريقة علماء التّراجم السّابقين الذين كانوا يعوّلون كثيراً على تاريخ الوفاة، ويسعون إلى تحديده تحديداً دقيقاً باليوم، والشهر، والسنة، كلما تسنّى لهم ذلك، في حين يردفون تاريخ ولادة المُتَرْجَم له، بتاريخ وفاته؛ لأنه لا يمثّل في رأيهم نفس الأهمية، التي يمثّلها تاريخ الوفاة.

د-رصانة لغة النّص وجمال أسلوبه.

ومن باب المقاربة والمقارنة، بين طريقة الشيخ الزّاوي في تحديد التّواريخ لمن ترجم لهم من الأعلام، وبين ما كان عليه أصحاب التّراجم الأوائل في تآليفهم، نذكر ما ورد عند المؤرِّخ الأندلسيّ أبي القاسم بن بشكوال (ت578هـ)- وكان من مصادر الشيخ الزّاوي[20]، في معجم أعلامه كما أشرنا- في ترجمة أبي عبد الله محمد بن فرج، مولى محمد بن يحيى البكريّ المعروف بابن الطلاّع القرطبيّ، التي جاء فيها: "وتوفي رحمه الله ضحوة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلةٍ خَلَتْ من رَجَب الفرد، من سنة سبعٍ وتسعين وأربعمائة، ودُفِنَ بمقبرة العبّاس، يوم الجمعة بعد صلاة العصر، وشهده جمعٌ عظيمٌ من الناس، ومولده في مُسَلّخ ذي القعدة من سنة أربع وأربعمائة"[21].

وهكذا نشاهد هنا أنّ ابن بشكوال، قد حدّد لنا تاريخ وفاة ابن الطلاّع هذا، تحديداً دقيقاً باليوم، والشّهر، والسّنة، والسّاعة أيضاً، وهو ما لم نتوفّر عليه في ترجمة الشّيخ الزّاوي لأبي إسحاق إبراهيم بن علي العوسجي، السّالف الذكر، التي اكتفى فيها بذكر السّنة، ليس غير.

وفيما يتعلّق بحجم المادّة التي خصّصها الشّيخ الزّاوي لتراجمه، فهي متفاوتةٌ جداً، من حيث الطول أو القِصَر، فبعضها لم يتجاوز السّطر الواحد، كما في ترجمة أبي محمد عبد الوهاب بن محمد الهنزوتي الطرابلسي[22]، وأبي علي عمر بن إبراهيم المصراتي[23]، وبعضها لا يزيد عن سطر ونصفٍ، أو سطرين.

أما أكثر تراجمه طولاً - وهي قليلةٌ - فهي تتراوح ما بين أربع صفحاتٍ ونصف كما في ترجمة أحمد الفقيه حسن[24]، وخمس صفحاتٍ ونصف كما عند بشير السّعداوي[25]، ثم هناك ترجمة الشّاعر أحمد رفيق المهدوي[26] التي اشتملت على ست صفحاتٍ، وهي أطول تراجمه في هذا الكتاب على الإطلاق.

لكن من خلال استقرائنا لتراجم هذا الكتاب بعامّة، نلحظ أنّ صاحبه قد توخّى فيه منهج الاختصار والتركيز والإيجاز، كما مرّ بنا.

ومع ذلك كلّه، فإنّ ثمّة مسألةً مهمّةً في هذا الصّدد يجب التّنبيه إليها، وهي أنّ المصادر التي وقف عليها المؤلّفُ في هذه التراجم هي التي ربما حتّمت عليه ذلك، بدليل أنه لم يُؤسْ بكلمةٍ واحدةٍ على ما وجده عند ياقوت الحموي، أو أبي الطّاهر السّلفي، أو السّخاوي، أو السّيوطي، أو التّجاني، أو غيرهم، ممن نقل عنهم تلك التّراجم القصيرة.

زد على ذلك أنّ هؤلاء المؤرّخين، كانوا قد عاشوا في الفترة الإسلاميّة الوسيطة والتي تفصله عنها قرونٌ عدّة.

ومن الأمور المنهجيّة التي يجب الوقوف عندها، في الاهتمام التاريخيّ عند الشّيخ الطّاهر الزّاوي بفنّ التّراجم، هو استعماله للمنهج النّقديّ في حالاتٍ كثيرةٍ، سواءٌ من خلال تقويمه أم نقده لبعض المصادر، التي عوّل عليها في جمع شتيت

مادته، أم من خلال نقده لبعض العهود التي مرّت بها ليبيا عبر تاريخها، والتي كانت عواقبُهَا وخيمةً، ونتائجُها وبيلةً، على كثيرٍ ممّن ترجم لهم، علمياً أو نفسياً، أو بهما معاً.

فمن أمثلة ذلك، تصريحه بأنّ ابن غلبون في كتابه **التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار** كان كثير الدّقة والتحقّق في التّعريف والتّأريخ لمترجميه، حيث يفهم ذلك من قوله: "وللأستاذ محمد خليل غلبون، صاحب كتاب **التذكار** يدٌ كريمةٌ في تقييد بعض التّراجم، كان يميل فيها إلى التحقيق العلميّ، والتحرّي في النّقل، ومناقشة بعض أوصاف المترجم، حتى إذا تبيّن فيها وجه الصواب أقرّها، وإلا صرّح بما فيها من خطأٍ"[27].

بينما من جهةٍ أخرى، نجد أنّ الشّيخ الزاوي قد خَطّأَ المؤرخَ أحمدَ النّائب الأنصاري في **منهله**، الذي جعل أبا إسحاق إبراهيم الأجدابي الطرابلسي، من أعلام القرن التاسع الهجري[28]، غير أنّ الصحيح، أنه كان من أعلام القرن الخامس الهجري، وأنه كان موجوداً بطرابلس في المدة الممتدّة بين عامَيْ (444-476هـ) وذلك اعتماداً على ما جاء عند التّجاني في رحلته[29].

ونظراً لما يمتلكه الشّيخ الزّاوي من درايةٍ لُغَويةٍ وأدبيّةٍ، إذ إنّه صاحب المُعْجَمَيْن القيِّمَيْن في اللّغة، وهما: **ترتيب القاموس**، و**مختار القاموس**، وهو الذي حقّق كذلك ديوان الشاعر أحمد البهلول، لذا فإنه لم يَأْلُ جهداً في إصدار حكمه العلميّ، تجاه مستوى مترجميه، ممن كانت لهم بسطةٌ في علوم اللّغة أو الأدب والشّعر، كلما اقتضى الأمر ذلك.

ومنها أنه يشيد بالأديب الشّاعر إبراهيم الأسطى عمر، في قوة شعره، وجمال أسلوبه ودقة معانيه، وذلك عندما يقول في ترجمته: "ولم يَلْبَثْ أن تفجّرتْ شاعريّته، بشكل أدهش الجميع، في حُسْن سَبْكٍ، ورصانة أسلوبٍ، وجودة معنى، وخصب خيالٍ، لفت إليه الأنظار، في إعجابٍ وتقديرٍ"[30].

ثم يردف هذا الكلام بقوله: "وكان- رحمه الله- من دعاة وحدة ليبيا، انظر إلى قصيدته التي أرسلها إلى المستر "بلت" مندوب الأمم المتحدة في ليبيا، وهي طويلة جاء فيها:

يريد الشعب وحدته ففيها كرامته ولا يرضى انقساماً

ولقد برّز في الشعر، وكان له فيه من عيون القصائد، ما يشرّفه ويرفع من قدره، إذ ذكر الشعر والشعراء"[31].

غير أنّه من جهةٍ ثانيةٍ فإن هذين النصّين التاريخيّين قد يساعداننا أيضاً، في كشف النّقاب عن جوانبَ أخرى مهمةٍ في شخصية المؤرّخ والعالم الطّاهر الزّاوي، وذلك في النّقط التالية:

1- أنّ معرفته الجمّة، وثقافته الواسعة، قد أهّلته لأن يقتدي بكبار علماء التّراجم الأوائل في التأسّي بطرائقهم، واتباع أساليبهم، في الحكم على مترجميهم، والتأكيد على مناحي الإبداع والتفوق عندهم.

وعليه لو قارنّا بين ما أورده الشيخ الزاوي، في النّصّين المذكورين، وبين ما يوجد عند المشاهير من هؤلاء، لوجدنا أن التّشابُهَ والتناغُمَ بينهما كبيرٌ.

2-يفهم منهما كذلك، مدى قوة الحسّ الأدبيّ لديه، حيث إنّ مؤلَّفه الحافل (**أعلام ليبيا**)يعجُّ بالقصائد والأشعار، التي تجعل منه مصدراً أدبياً، إلى جانب كونه مصدراً تاريخياً بامتياز.

3- إن استشهاد الشّيخ الطّاهر الزّاوي بالشّعر، بين الفَيْنَة والأخرى أثناء التّرجمة لأعلامه، كان هو ديدن مؤرِّخيّ التّراجم، في المشرق والمغرب، لدرايتهم بهذا الفنّ وتهمُّهم به، حتى ظهر لديهم ما يُعرف بالتّأريخ بالشّعر، أو التّأريخ المنظوم ولعلّ خير شاهدٍ على ذلك، الكتابُ الذي ألّفه المؤرِّخُ والأديبُ الأندلسيُّ الشّهير، لسانُ الدين بنُ الخطيب (ت 776هـ) والذي سمّاه **رقم الحلل في نظم الدول**.

4- إنّ هذه الشّهادة العلميّة التي منحها الشّيخ الطّاهر الزّاوي لمُتَرْجَمِه - إبراهيم الأسطى عمر - لا تصدر إلا من كان له باعٌ، وأيُّ باعٍ، في الميدان اللُّغَويّ والأدبيّ، وهو ما ينطبق على الشّيخ الزّاوي أيّما انطباق؛ لأنّ لسانَ الحال يقول:

لا يُدْرِكُ الشّوقَ إلاّ من يُكَابِدُه ولا الصّبابَةَ إلاّ من يعانيها

وإلى جانب هذا، فإنّ من مَيْزات الكتابة التاريخيّة عند الشّيخ الزّاوي التي يجب التأكيد عليها، هو ما يمتلكه من رصانة اللّغة، وسلاسة الأسلوب، وجمال العبارات، وجزالة الألفاظ، فضلاً عن استعماله للاقتباسات والكلمات القرآنيّة، التي أعطت لمادّته العلميّة زخماً وعُمقاً كبيرين.

ومن الاقتباسات القرآنية التي وردت عنده في بعض تراجمه:

- يتهافتون على صفوف الإيطاليين كالصقور، **يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال**[32].

- وبقيت مصفحّاته ومدرّعاته في ميدان المعركة، **كأنها أعجاز نخل منقعر**[33].

- **يضربون وجوهه وأدباره**[34].

- **وما كاد يبلغه إلا بشقّ الأنفس**[35].

- **ونفر الناس خفافاً وثقالاً للجهاد، بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله**[36].

- **ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم**[37].

- ثم نقول لهم : **هاؤم اقرءوا جهاد الطرابلسيّين**[38].

ومن اللاّفت أيضاً، أنّ من السّمات المنهجيّة، التي نشاهدها عند الشّيخ الزّاوي في كتاباته، هو اعتماده على مخزونه الفكريّ ورصيده الثقافيّ، في مراتٍ عديدةٍ، ومنها استخدامه للأمثال العربية العامة مثل بعد أن اتّسع الخرق على الطّليان[39].

وهو من المثل العربي الشّهير **اتّسع الخَرْقُ علَى الرَّاقعِ** .

وقد جاء في **الكتاب** لسيبويه: أن هذا المثل مأخوذٌ من بيت شعر لرجلٍ من بني سُلَيْم، وهو أنس بن العباس، في قوله:

لا نَسَبَ اليوم ولا خُلّة اتّسع الخَرْقُ علَى الرَّاقعِ

أي لا نسب وقرابة اليوم بيننا، وقد تفاقم الأمر، بحيث لا يُرجى خلاصه، فهو كالخرق الواسع في الثّوب، لا يقبل رقع الرّاقع.

والخُلّة بالضمّ: الصّداقة[40].

وكذلك ما جاء عنده، أثناء حديثه عن واقعة المنشية سنة 1911م، التي يقول فيها: (ظنّ الطّليان أنّ هذا الانسحابَ تقهقرٌ من المجاهدين، ولكنّه على رأي المثل العربي: أمرٌ دُبِّرَ بليلٍ)[41].

أمّا بالنّسبة للشّعر، فكثيراً ما يوظّف الشّيخ الزّاوي بعض الأبيات الشعرية، أو حتى جزءاً منها، أثناء التّرجمة لنفرٍ من أعلامه، مثال ذلك قوله: (وما دامت الدول العظمى ملتزمةً الحياد، فإننا نحارب باسم دولتنا ووطننا، ومتى ظهر منها الوقوف في طريق انتصاراتنا وقوفاً غير مشروعٍ، فإننا نعد ذلك منها تعصُّباً، وإذا سنحارب باسم الدين فقط).

ومَنْ لم يَذُدْ عن حَوْضِهِ بسلاَحِهِ يُهَدَّمْ ومن لا يَظْلِمِ النّاسَ يُظْلَمِ[42]

وهذا البيت هو للشّاعر الكبير، زهير بن أبي سلمى.

وفي ترجمته لمحمد بن سوف المحمودي، نجده يقتبس بعض الكلمات من أحد أبيات للمتنبي، عندما يقول: عرفته البيداء والليل والخيل[43]، والبيت هو:

فالخيلُ واللّيلُ والبيداءُ تعرفني والسّيفُ والرّمحُ والقِرْطَاسُ والقلمُ

وعلى ذكر استغلال الشّيخ الزّاوي لثقافته التاريخيّة في تآليفه، فإنّنا نرى تلك المقارنات العجيبة، التي كان يعقدها أحياناً بين بعض الأحداث والوقائع، أو بين بعض مترجميه، وما يوافق ذلك من أحداثٍ، أو يقابلها من شخصيّاتٍ في الأعصر الماضية، وبخاصّةٍ على أيّام صدر الإسلام.

فمن ذلك ما ذكره في تأريخه لواقعة قرقارش سنة 1912م، التي أبلت فيها النّساء اللاّيبيّات بلاءً حسناً أسوةً بالرجال، وذلك حينما قال: "ويشترك في ميدان القتال رجاله ونساؤه، يدافع الرجل عن عرضه ووطنه، وتحثّره المرأة العار وقبح الأحدوثة، فيتفانى في الدّفاع، وقد تضطر المرأة مهمّتها في التّحريض، وتقديم

المساعدات للرجل، إلى الاقتراب من العدو فتكون عرضة لرصاصه وشظايا قنابله"[44].

ثم يضيف قائلاً: "توجد جماعةٌ من النّساء التحقن بالمجاهدين للتشجيع وحراسة الأمتعة، إذا ذهب المجاهدون إلى صفّ القتال، وسقاية المحاربين، وتضميد جراحهم، وما إلى ذلك، وذهاب بعض النّساء مع المجاهدين، عادةٌ عربيةٌ قديمةٌ، منذ الفتح الإسلامي وقبله، وقد كان جماعةٌ منهنّ مع النبي صلى الله عليه وسلمفي واقعة أُحُد"[45].

لكن هذا الكلام في الوقت نفسه له عدّة دلالاتٍ يمكن إجمالها في:

1-أنه ينبئ بأنّ المؤرّخ الزّاوي، قد أولى اهتماماً كبيراً بالتأريخ للمرأة، وبخاصة في كتابَيْه **أعلام ليبيا** و**جهاد الأبطال**، وهذه هي الطريقة التي سلكها مؤلّفو التّراجم والطّبقات، والذين خصّصوا جزءاً من مصنّفاتهم لهذا الشأن، أمثال ابن حيّان (ت469هـ) في **المقتبس**، والحميدي (ت488هـ) في **الجذوة**، وابن بشكوال (ت578هـ) في **الصّلة**، وابن الأبّار (ت 658هـ) في **التّكملة**، وابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ) في **الذّيل والتّكملة** والمقّري التّلمساني (ت1041هـ) في **نفح الطّيب** وغيرهم.

2- أن ثقافته العامّة، وإلمامه بأحداث التاريخ الإسلامي، في الحقبة الوسيطيّة هو الذي أهّله، أن يجري مثل هذه المقارنات الرّائعة، حتى على مستوى الأفراد والشّخصيات[46]، وذلك مثل إعجابه بتلك الفتاة التي لم يهتد إلى معرفة اسمها، وكان له دورٌ بطولي في واقعة قرقارش أيضاً، حتى قال فيها: "وأحرى بهذه الفتاة أن تسمّى خولة بنت الأزور، الثانية... وخولة هذه، هي خولة بنت الأزور، أخت ضرار بن الأزور الصّحابي المشهور، التي برزت في الشّجاعة أيام الفتح الإسلامي في الشّام"[47].

3- كما يتبيّن منه كذلك، أن اضطلاع الشّيخ الزّاوي بالتّأريخ للمرأة وبدورها الكبير، في الميدان السّياسي والعسكري، والثّقافيّ، والاجتماعيّ، ما هو إلا واحدٌ من المجالات التي طرقها في الكتابة التاريخيّة من ناحيةٍ، فضلاً عن كونه كشف لنا كذلك، ما يمتلكه من مهاراتٍ وتقنيّاتٍ عاليةٍ في الفنّ التاريخيّ من ناحيةٍ أخرى.

رابعاً: بعض الملاحظات على تأريخه لأعلامه: حرص مؤرِّخو التّراجم والطّبقات الأوائل، على مراجعة، وفحص، ومتابعة، مؤلّفات من سبقهم، أو حتى المعاصرين لهم، لتلافي ما يعتورها من نقصٍ أو قصورٍ، أو لاستدراك ما وقع فيه هؤلاء في هذه المصنّفات، من أخطاءٍ، أو أغلاطٍ، أو أوهامٍ، أو لبسٍ، وذلك حتى تعمّ الفائدة، وتكون تلك المؤلّفاتُ على درجةٍ كبيرةٍ من الدّقّة والتّنقيح والإتقان.

ولذلك ظهر ما يُعرف عندهم، بكتب الذّيول أو الصّلات، أو التتمّات، أو الاستلحاقات، التي صحّحت ونقّحت ما اعتور سابقاتها، من هناتٍ أو مثالب، فضلاً

عمّا استكملته في ترجمة الأعلام والرجال، الذين لم يدركهم أصحاب تلك المؤلّفات السابقين، حتى تتمّ بذلك حلقات البحث العلميّ، عبر الأحقاب والأعصار، وتتوارثه الأجيال خالفاً عن سالفٍ.

وعلى سبيل التّمثيل لا الحصر، نذكر من كتب التّنيول والصّلات عند الأندلسيّين والمغاربة، والتي تُعنى بفنّ التّراجم الإخباريّة: **تاريخ علماء الأندلس** لابن الفرضي (ت 403هـ)، الذي ذيّله أبو القاسم بن بشكوال (ت 578هـ)بمؤلّفه **كتاب الصّلة** ثم ذيّل هذا الأخير ابنُ الأبّار البلنسي (658هـ) بكتابه **التكملة لكتاب الصّلة،** ثم صنّف من بعده ابن عبد الملك المراكشي (ت 703هـ)كتاباً سمّاه **الذيل والتكملة لكتابَيْ الموصول والصّلة** وكذلك ألّف عصريُّه أبو جعفر بن الزّبير (ت 708هـ) مؤلّفاً أطلق عليه **صلة الصّلة،** ثم اختتم هذه السّلسلة لسانُ الدين بنُ الخطيب بكتابٍ عنوانه **عائد الصّلة.**

أمّا بالنّسبة لأهل المشرق، فقد وجدت لديهم مثل هذه التّنيول والذّيّلات أيضاً، وإن لم تكن على نطاقٍ واسعٍ، كما هو الحال عند أهل الأندلس والمغرب.

ومن المؤلّفات المشرقيّة التي تدخل في هذا السّياق نذكر كتاب **وفيات الأعيان** لابن خلّكان (ت 681هـ) الذي ذيّله كلٌّ من المؤرِّخ محمد بن شاكر الكتبي (ت764هـ)بمؤلّفه **فوات الوفيات،** ثم عصريّه صلاح الدين الصّفدي (ت764هـ) بموسوعته الضّخمة **الوافي بالوفيات،** ثم ذيّل هذا الأخير ابن تغرى بردي (ت874هـ) صاحب **النّجوم الزّاهرة** بمؤلّفه **المنهل الصّافي والمستوفي بعد الوافي.**

ومن خلال ما تقدّم فإنّنا نرى أنّ الضّرورة المنهجيّة- إن جاز التّعبير- قد تفرض علينا الوقوف عند بعض الهفوات، أو الهنات، أو مناحي القصور، التي اعترضت سبيل المؤرّخ الشّيخ الطّاهر الزّاوي في كتابته التاريخيّة، والتي هي لا تقلّل من قيمة مؤلّفاته في هذا الميدان، ولا تنقص من شأنها، وإنما تظلّ مسألة التّنبيه إليها ومحاولة استدراكها، هي عملٌ علميٌّ متمّمٌ، إذ كما قال الشاعر الأندلسي، أبو البقاء الرُّندي:

لكلّ شيءٍ إذا مَا تمّ نُقْصَانُ فلا يُغَرُّ بِطِيبِ العيش إنسانُ[48]

ثم ما قيل أيضاً إن من ألّف فقد استُهْدِفْ.

وعلى هذا الأساس فإنّنا سنجتزئ ذكر بعض هذه الملاحظات في الفقرات الآتية:

1- من الملاحظات المهمّة التي تسترعي انتباه القارئ لكتاب **أعلام ليبيا** للشّيخ الطّاهر الزّاوي، هو عدم إقدام صاحبه على حصر وترقيم تراجمه - والتي أنافت عن الأربعمائة وثمانين ترجمة - حتى يسهل بذلك على الباحثين والدّارسين، إمكانيّة

التّعامل معها، والرّجوع إليها بشيءٍ من السّهولة واليسر، إذ إنّ عمليّة حصرها وترقيمها تكون أكثر دقّةً وخصوصيةً أثناء الإحالة، أو الاقتباس منها وتوثيقها.

2- عدم تصريح الشّيخ الزّاوي في كثير من الأحيان بأسماء المصادر أو المراجع التي عوّل عليها في التّأريخ أو التّرجمة لعددٍ غير قليلٍ من رجاله وأعلامه، والتي أنافت عن الثلاثين[49]ترجمةً.

3- أن هذه الطريقة التي اتبعها الشيخ الزاوي في عدم الإفصاح، أو الإحجام عن ذكر مصادره أو مراجعه التي استقى منها مادة تراجمه، قد كانت في الحالتين، أي في حالة التراجم المبتورة، التي لا تتعدى السطرين، أو بضعة أسطر على الأقل، أو في ما زادت عن ثلاث صفحاتٍ كاملةٍ، كما في ترجمة أبي علي الحسن بن موسى الهواري الطّرابلسي، التي نقلها بنصّها وفصّها كما يقولون، من المؤرّخ والرّحالة أبي محمد عبد الله التّجاني، دون أن يشير إلى ذلك البتّة، يضاف إلى ذلك اتّباعه طريقةً أخرى في بعض الحالات، وهي قيامه بتلخيص المادّة المعلوماتيّة لبعض تراجمه، من مصدرٍ واحدٍ فقط، دون غيره، مع إحداث بعض الإضافات الطّفيفة جداً، والتي لا تكاد تذكر على النصّ الذي ينقله، وبالرّغم من هذا كلّه فإنّه لم يعنّ نفسه ذكر هذا المصدر الذي اعتمد عليه مطلقاً. ومن أمثلة ذلك عنده، تلخيصه لترجمة عبد الكريم بن أحمد النّائب الطّرابلسي[50] من كتاب **نفحات النّسرين والرّيحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**[51]لمؤلّفه أحمد النّائب الأنصاري صاحب **المنهل العذب**.

وهذه التّرجمة في الأصل، كانت تتكوّن عند الأنصاريّ في **النّفحات** من اثنين وثلاثين سطراً، بينما جاءت عند الشّيخ الزّاوي في **أعلامه** بعد تلخيصها واقتضابها في ثمانية عشر سطراً.

4-وقوع المؤلّف في بعض الانزلاقات، أو الأخطاء، أثناء تلخيصه لمادّته العلميّة، من بعض المصادر المعروفة المتوفّرة بين أيدينا الآن، ونذكر منها على سبيل التّمثيل لا الحصر، كتاب **رحلة التّجاني** السّالف الذكر، الذي اعتمد عليه الزّاوي، في ترجمة أبي علي الحسن الهوّاري المشار إليه، مع ما حدث له من تحريفٍ، في تحديد سنة ميلاد هذا العالم، وسنة وفاته كذلك، إذ جعل صاحبنا السّنة التي ولد فيها الهوّاري، هي سنة 606هـ[52]، في حين أنها وردت عند التّجاني 609هـ[53]، أي بعد التاريخ الذي حدّده الشّيخ الزّاوي بثلاث سنوات.

أمّا عن تاريخ وفاة أبي علي الحسن الهوّاري، التي حدّدها التّجاني بسنة 682هـ[54] فقد جاءت في **أعلام ليبيا** على أنها سنة 782 هـ[55]، وهنا نلاحظ أن البَوْنَ شاسعٌ بين التاريخين المذكورين، ولا يعقل أن يكون الفرق بينهما مائة عام، أي قرنٌ كاملٌ، ولكن يبدو أنّ هذا التاريخ الذي جعله الزّاوي سنة 782هـ، عوضاً عن سنة 682ه، مردّه إلى خطأٍ مطبعيّ في أغلب الاحتمالات.

وعلى ذكر بعض التّحريفات التي طرأت على نصّ التّجاني في هذه الترجمة أيضاً، هو ما جاء في أحد الأبيات الشّعرية التي نسبها التّجاني لمترجمه، والذي جاء عند الزّاوي:

وليس الأمر حتى ليس إلا سخيّ بالأذى أو بالسلام[56]

في حين أن الصّحيح كما قاله التّجاني:

وليس الأمر حتى ليس إلا سخيّ بالأذى أو بالملام [57]

5- أدّت عمليّة قُبول الشّيخ الزّاوي لعددٍ من تراجمه، من المؤرِّخ أحمد الدّائب الأنصاري، في كتابيه **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ونفحات النّسرين والرّيحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**، وبخاصّةٍ التّراجم القصيرة منها والمبتورة، إلى أن أضحت تلك التّراجم، تشكّل عبئاً ثقيلاً لدى القارئ أو الدّارس، من حيث مدى إمكانيّة فهم مقاصد كلماتها وعباراتها، واستيضاح معانيها ومضامينهاحتى أصبحت الحاجة إلى تفسيرها، والتّعليق عليها أمراً مُلِحًّا، تتطلبه طبيعة البحث العلميّ القويم ومنهجيّته.

ولما كان هذا البحث لا يسعفنا، في الإتيان بمجموعةٍ من الشّواهد أو النّماذج، للتّدليل على ما نقول، لذا فإنه سنكتفي بالإشارة إلى بعضٍ منها ليس غير، لأن المثل العربي يقول: " ويُسْتَدَلُّ على الشّجَر بالواحِدَةِ من الثّمر".

فمن ذلك، التّرجمة التي خصّصها الشّيخ الزّاوي لإبراهيم بن قاسم الطرابلسي التي جاء فيها: "إبراهيم بن قاسم الأطرابلسي من المغرب. قال ابن بشكوال في **كتاب الصّلة**: دخل الأندلس، روى عنه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، حكى ذلك الحميدي. وقد أخذ عنه القاضي يونس بن عبد الله، وأسند عنه قصة في التسبيب، عن ابن ما شاء الله القابسي العابد.

وذكره صاحب **المنهل العذب**، وأسند نقله إلى **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، وقال: روى عن أبي جعفر القروي"[58].

وهكذا من خلال استقرائنا لهذا النّصّ، فإنّه يتوجّب علينا إبداء بعض الملاحظات أو التّفسيرات، حتى نستطيع بذلك، أن نكوّن صورةً أكثر وضوحاً وشُموليّةً، لما تهدف إليه هذه التّرجمة المقتضبة، في التّعريف بهذا العالم، وذكر شيءٍ من سيرته وأخباره.

فأوّلها أنّ المقصود بابن بشكوال هو المؤرِّخُ والمحدِّثُ الأندلسيُّ الشّهيرُ أبو القاسم خلفُ بنُ بشكوال (ت578هـ)، صاحب كتاب **الصلة**، الذي وصل به كتاب **تاريخ علماء الأندلس** لأبي الوليد الفرضي (ت403هـ)، وفيما يتعلق بعبارة (حكى ذلك الحميدي) فإنه يقصد بها، أن المؤرِّخَ والمحدِّثَ الأندلسيَّ أبا عبد الله الحميدي (ت488هـ) قد ذكر ذلك في كتابه الحافل **جذوة المقتبس في تاريخ علماء**

الأندلس[59]، الذي ألّفه في بغداد ببلاد المشرق، ليعرّف أهل العراق بأعلام الأندلس ورجالاتها، الذين نبغوا في أفانين العلم وضروب المعرفة.

وبالنّسبة للعلاقة بين الحميديّ، وعلاّمة الأندلس أبو محمد بن حزم (ت456هـ)، هو أن الحميديّ كان من أنجب الطلبة الذين درسوا على ابن حزم، وأكثرهم ملازمة له، حتى نجد أن معظم تراجم كتابه **الجذوة**، هي عالةٌ على شيخه وقدوته ابن حزم هذا. زد على ذلك أن الأخير كان أحد تلامذة العالم الطرابلسي إبراهيم بن قاسم، صاحب الترجمة التي نحن بصدد الحديث عنها، وهو ما يؤكد في الوقت نفسه استمرار عملية التّواصل العلمي بين هذين الصُّقَعَيْن طرابلس الغرب والأندلس.

وبالنّسبة للقاضي يونس بن عبد الله، فهو أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث القرطبيّ[60] (ت 429هـ) الذي يقول فيه شيخُ مؤرِّخي الأندلس، ابنُ حيان (ت469هـ): "صار خاتمة الفقهاء بقرطبة، وآخر الخطباء المعدودين فيها... وكان على تفرّده بالحديث، متقدّماً في علم اللّسان والآداب"[61].

أما عن علاقة القاضي يونس بن عبد الله بمسألة النّسبيب، فهذا راجعٌ إلى أنّ القاضي يونس هذا كان قد تخصّص في التّأريخ للصّالحين والزّهّاد، وذكر مناقبهم وكراماتهم، حتى قال فيه القاضي عياض: "وأكثر تواليفه في أخبار الزّهّاد وباب الرّقائق؛ وهي تواليف مليحة مفيدة"[62]، وبالنسبة للمؤرخ شمس الدين الذهبي فقد وصفه بأنه كان: "حُفْظَةً لأخبار الصّالحين"[63].

وفيما يتعلّق بالفقرة الأخيرة من ترجمة الشّيخ الزّاوي لإبراهيم بن قاسم الطّرابلسي والتي جاء فيها: "وذكره صاحب **المنهل العذب**، وأسند نقله إلى **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**.

فهنا قد يتبادر إلى الذّهن أن صاحب **المنهل العذب** قد نقل هذه التّرجمة من كتابٍ آخر، غير **كتاب الصّلة** لابن بشكوال، وهذا صحيحٌ؛ لأنه استقاها من كتاب **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس** للمؤرّخ الأندلسيّ أحمد بن عميرة الضّبّي (ت599هـ). بينما الطّويف في الأمر أن مؤلّفَ الضّبّي هذا **البغية** يعدّ أشبه بذيلٍ **لجذوة المقتبس** للحُميديّ؛ لأنه نقل جُلَّ تراجم الحُمَيديّ، وضمّنها في كتابه بحذافيرها، حتى قال في مقدمته: "فاعتمدت أكثر ما ذكره، وزدت ما أغفله وغادره، وتمّمت من حيث وقف"[64].

وبالإضافة إلى هذا، فإنه لابد من التّنبيه إلى مسألةٍ جوهريةٍ مهمّةٍ في ترجمة إبراهيم بن قاسم الطّرابلسي المذكور، وهي أن المؤرّخ أحمد النّائب الأنصاريّ، قد وقع في خللٍ منهجيٍّ كبير، عندما عقد ترجمتين مختلفتين، لابن قاسم الطّرابلسي هذا في كتابه **المنهل العذب** وفي الجزء الثاني منه، الذي قام بتحقيقه الشّيخ الطّاهر الزّاوي، الأولى وردت في الصفحة رقم "70"، ومضمونها إبراهيم بن القاسم

الأطرابلسي، روى عن أبي جعفر القروي وغيره، وروى عنه محمد بن حزم، قاله الحميدي. جميع هذه الأسماء ذكرت في **معجم البلدان**[65].

والثانية جاءت في الصفحة رقم (82) وفيها: "إبراهيم بن قاسم الأطرابلسي، من المغرب، قال ابن بشكوال في كتاب **الصلة**: دخل الأندلس وروى عنه أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، حكى ذلك الحميدي، وقد أخذ عنه القاضي يونسُ بنُ عبد الله، وأسند عنه قصةً في التّسبيب، عن ابن ما شاء الله القابسي العابد"[66].

إنّ يتبيّن من خلال المقارنة، بين هذين النّصّين، أن كلا التّرجمتين لإبراهيم بن قاسم الطّرابلسي، وأن صاحب **المنهل العذب** لم يهتد إلى ذلك واعتبرهما ترجمتين مستقلتين لعَلَمَيْن مختلفين.

لكن من الغريب أيضاً، أنّ الشّيخ الزّاوي قد خوّل الأمر لأحمد الدّائب الأنصاريّ، ولم يُشِرْ إلى هذا الخطأ، الذي وقع فيه أثناء ترجمته لهذا العالم الطّرابلسي، وبخاصّةٍ أن الشّيخ الزّاوي، قد قام بتحقيق الجزء الثاني من **المنهل** كما أسلفنا، فهي بالتالي من أوليّات عمله.

بيد أن من المفارقات العجيبة أن بعض كبار المؤرّخين الذين ظهروا قبل صاحب **المنهل العذب**، قد التبس عليهم الأمر في بعض المرّات، فترجموا أيضاً ترجمتين مختلفتين لعَلَمٍ واحدٍ، مع عدم تنبّه محقّقي كُتُب هؤلاء لذلك، أي مثل ما حدث هنا للشّيخ الزّاوي، في تحقيق الجزء الثاني من **المنهل**.

ومن هؤلاء المؤرِّخين على سبيل التمثيل أبو عبد الله الحميدي (ت488هـ) صاحب **الجذوة**، وأحمد الضّبّي (ت599هـ) صاحب **البغية**، اللذين ترجما ترجمتين مغايرتين للمؤرّخ والجغرافي الأندلسيّ الكبير، أحمد بن محمد الرّازي (ت344هـ) إحداهما باسم أحمد بن محمد التاريخيّ، والثانية باسم أحمد بن محمد الرّازي، مع أنّهما شخصٌ واحدٌ[67]، ولم يستوقف هذا الخطأ، محقق الكتابين المذكورين، الأستاذ إبراهيم الأبياري بحيث لم يعلق على ذلك ولو بكلمة واحدة.

ولما كان الشيءُ يُذكَرُ بالشيءِ- كما يقولون- لذا فإنه نشير إلى أنّ هناك مؤرّخين مشرقيَّيْن آخرين من أصحاب التراجم وهما: ياقوت الحموي (ت626هـ) في **معجم الأدباء**[68]، وصلاح الدين الصّفدي (ت764هـ) في **الوافي بالوفيات** قد التبس عليهما الأمر، فترجما لأحمد الرّازي المذكور ترجمتين مختلفتين أيضاً.

وأخيراً نختم هذا التحليل التّاريخيّ، المتعلّق بترجمة الشّيخ الطّاهر الزّاوي لإبراهيم بن قاسم الطرابلسي، بطرح هذا السؤال، وهو هل يمكن معرفة العصر أو القرن الذي عاش فيه مترجمنا، والذي أحجم عن ذكره، من ترجم له من أصحاب التراجم؟

الإجابة نعم؛ لأنه طالما أنه قد أخذ عنه علاّمةُ الأندلس، أبو محمد بن حزم (ت456هـ)، والقاضي يونسُ بنُ عبد الله (ت429هـ)، لذلك فإنه سيكون من أعلام

القرن الرّابع الهجريّ، وأدرك كذلك جزءاً من القرن الخامس بعده، باعتبار أنّ هذين العالِمَيْن قد درسا عليه في سنوات الطّلب، أو بمعنى آخر أنه كان عالماً مخضرماً، أي عاش في القرنين الرّابع والخامس الهجريّين، وهو ما يجعله قد أدرك عصرَيْ الخلافة وبعضاً من عصر الطّوائف بالأندلس من بعده.

5- التكرار المملول لبعض الكلمات في النصّ الواحد، مثال ذلك ما ذكره في ترجمة رافع بن تميم بن حيون اللّخمي البرقي، التي جاء فيها: "قال السّلفي: وله شعرٌ موزونٌ، وأكثره ملحونٌ، وأنشدني مقطعات أنشدها إياه أبو المناقب المعري المعروف بالخطي، وغيره. ذكره السّلفي في القسم الأول من معجمه. وكان معاصراً للسّلفي، توفي السّلفي سنة 576هـ"[69].

وهكذا نلاحظ هذا التّكرار الكثير لكلمة السّلفي، التي ذُكِرَت أربع مراتٍ في هذا النّص القصير، الذي لا تتعدّى كلماته تسعاً وعشرين كلمةً، وهذا ما يثقل كاهل النّصّ، ويدخل عليه شيئاً من الرّكاكة.

كما أنّ تكرار لقب السّلفي، بهذه الكيفية أربع مراتٍ متتاليةٍ، سوف يضفي على هذا الاسم بعض الضّبابيّة لدى القارئ، ولذلك يتوجّب هنا ذكر الكنية على الأقل، أو الكنية والاسم مع اللقب في المرة الأولى، لكي تتضح الصورة، ويزول هذا الغموض.

وعليه فاسم هذا العالم كاملاً، هو أبو طاهر عماد الدين السّلفي[70] (ت576هـ) وكان من كبار المُحَدّثين في العالم الإسلامي في عصره، وقد اتخذ من مدينة الإسكندريةمستقراً ومقاماً، ومن أهم تآليفه **معجم مشيخة أصبهان** التي ينتمي إليها، و**معجم مشيخة بغداد**، و**معجم السّفر**، و**الوجيز في ذكر المجاز والمجيز**.

يضاف إلى ذلك أنّ هذا الحافظ الشّهير، كان يرتبط بعلائقَ متينةٍ، ووشائجَ قويةٍ، مع عددٍ من علماء المغرب والأندلس، أمثال القاضي عياض السّبتي، الذي كانت بينهما مكاتباتٌ ومراسلاتٌ مهمّةٌ، رغم بُعْد الشُّقّة، وتنائي الديار، ومع أنهما لم يلتقيا البتّة.

ومن نافلة القول فإنّ هذين المحدّثين الكبيرين، والمؤرِّخين الثَّبْتَين: القاضي عياض، وأبا طاهر السلفي، قد كانا أديبين ناقدين، وشاعرين مطبوعين أيضاً.

ولعلّ القصيدة التي بعثها السّلفي من الإسكندرية، إلى القاضي عياض في سبتة رداً على أحد قصائده، لهي خير شاهدٍ على ذلك، ومن أبيات هذه القصيدة:

أتاني نَظْمُ الألمعيّ المُــوفّـقِ يَميسُ اختيالاً بين غــربٍ ومَشْرِقِ

فطَالَعْتُهُ مُستبشِراً فوجدتُهُ نتيجَةَ فهمٍ فـي البلاغَــة مُشْرِقِ[71]

إلى أن يقول:

فنحنُ وإن لم يَقْضِ يا قاضي بيننَا لقاءٌ فبالأرواح ندنو ونلتقي[72]

6- ومن الملاحظات التي نسجّلها كذلك، على طريقة الشّيخ الزّاوي في التّرجمة لأعلامه، هي عدم الدّقّة أو التحرّي أحياناً، في نسبة بعض الأعلام إلى مدائنهم أو بلدانهم، التي ينتمون إليها، فها هو قد نسب سعيد بن خلف بن جرير، إلى مدينة سرت الليبيّة، في حين أنه لم يكن كذلك، إذ يقول الشّيخ الزّاوي في هذا العالم: "سعيد بن خلف بن جرير السّرتي، من ساكني القيروان يكنى أبا عثمان. سمع بمكة من العقيلي، وابن الأعرابي وغيرهما، وجلس بمصر إلى الدّينوري العابد وصحبه. وكان حافظاً لأخبار النسّاك والعبّاد، وله حظٌ من المعرفة بالمذاهب. حدَّث وكتب الناسُ عنه وسمع بقرطبة من غير واحدٍ من شيوخها، وكان حليماً كيّساً أديباً، وهو معدودٌ من العلماء الغرباء عن قرطبة"[73].

ولكن بالرّجوع إلى المصدر الذي نقل منه الشّيخ الزّاوي هذه التّرجمة، وهو **تاريخ علماء الأندلس** لأبي الوليد بن الفرضي (ت403هـ)، كما أشار إلى ذلك الزّاوي في نهايتها، نجد أنّ ابن الفرضي لم ينسب سعيداً هذا إلى مدينة سرت، وإنما نسبه إلى سَبْرَة، فقال: "سعيد بن خلف بن جرير السّبري"[74]، وبالعودة إلى ياقوت الحموي في **معجم بلدانه**، نراه قد جعل من سَبْرَة مدينةً بالقرب من طرابلس، حيث يعرّفها بقوله: "سَبْرَة بفتح أوّله، وسكون ثانيه، بلفظ المرّة الواحدة، من سَبَرْت الجرح إذا قسته لتعرف غوره، وهو اسم مدينة بأفريقية فتحها عمرو ابن العاص بعد طرابلس في سنة 23هـ"[75].

نتائج البحث:

1- أثبت البحث بأنّ الفضل يعود إلى العالم الباحث الشّيخ الطّاهر الزّاوي ، في جمع ولملمة أكبر عددٍ من الأعلام والرّجال الليبيّين والتّرجمة لهم، في مؤلّفه القيّم **أعلام ليبيا**، بعد أن كانت أخبارُهُم وسِيَرُهُم منثورةً ومبثوثةً في تضاعيف المصادر والمظانّ المختلفة، مثل كتب التاريخ العام، والتاريخ المحلّي والسِّيَر الذاتية، وكتب التّراجم والطّبقات، والمصادر الأدبيّة، وكتب الفهارس، والبرامج والمشيخات، وكتب التّصوّف والمناقب والكرامات، والجغرافية التاريخيّة، وكتب الرّحلات وغيرها.

2- على الرّغم من أن كتاب **أعلام ليبيا** للشّيخ الطّاهر الزّاوي، لم يضمّ كل التّراجم اللّيبيّة، التي تدخل ضمن شرط هذا الكتاب، لكنّه مع ذلك يبقى أشمل مؤلّفٍ من نوعه، في التّعريف بالأعلام اللّيبيّين، والإتيان بلُمَعٍ من أخبارهم، وفِقَرٍ من سِيَرهم حتى الآن، بحيث أَنَافَتْ تَراجِمُهُ عن أربعمائة وثمانين ترجمةً ، وعليه فلو جمعنا تراجم المؤرِّخ أحمد النّائب الأنصاري في كتابيه المنهل والنّفحات معاً لما وصلت إلى هذا العدد.

3-لقد تجسّدت ثقافة الشّيخ الطّاهر الزّاوي الواسعة، التاريخيّة والفقهيّة، واللُّغويّة والأدبيّة، في مادّة هذا الكتاب بكل وضوحٍ، الأمر الذي يجعل منه مرجعاً مهمّاً لدراسة التاريخ والفقه واللُّغة والأدب والشّعر، ونحوها في الصُّقع اللّيبيّ على وجه الخصوص.

4- أدّت غيْرة الشّيخ الطّاهر الزّاوي القويّة على وطنه، وشغفه في الدّفاع والذّود عنه، بالقرطاس والقلم، إلى اضطلاعه بتأليف كتابٍ جامعٍ، أو معجمٍ لأعلام ليبيا ورجالاتها عبر الأحقاب والأعصر، بدءاً من ظهور الإسلام، وحتى عصرنا الحاضر.

5-كان للحسّ الأدبيّ أثرُهُ الكبيرُ على الشّيخ الزّاوي، في التّأريخ والتّرجمة لأعلامه، بحيث ضمّن كتابَه أعلام ليبيا مادّةً أدبيّةً غزيرةً، من قصائدَ وأشعار، وأمثالٍ، وحكمٍ ونحوها، فضلاً عن إصداره لحكمه العلميّ، بين الفَيْنَة والأخرى، حول هذه الأشعار من حيث مدى قوّتها ورصانتها، من عدمها.

6-لم تكمن دراية الشّيخ الطّاهر الزّاوي بعلم التّاريخ وتَهَمُّمِهِ به، من خلال مؤلّفه الحافل أعلام ليبيا وحسب، لا بل عن طريق إسهامه الفاعل في حركة الكتابة التاريخيّة بمؤلّفاته ومصنّفاته الأخرى، التي لا تقلّ أهمّيةً عن هذا الكتاب، مثل عمر المختار، وجهاد الأبطال في طرابلس الغرب وتاريخ الفتح العربي لليبيا، وتاريخ مدينة الزّاوية الذي ما يزال مخطوطاً.

7- كما دفع شغف الشّيخ الطّاهر الزّاوي بتراث وطنه، وحرصه الشّديد على إحيائه، إلى تصدّيه وتجشّمه، لتحقيق أهمّ مصدرين لدراسة تاريخ ليبيا وهما: التّذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار لابن غلبون، والجزء الثاني من كتاب المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب لأحمد النّائب الأنصاريّ.

8- أولى الشّيخ الزّاوي اهتماماً بالغاً في تآليفه، بالتّأريخ للمرأة بعامّةٍ، والمرأة اللّيبيّة بخاصّةٍ، وذلك في إماطة اللّثام عن إسهامها الكبير أسوةً بالرَّجل، في المجالات الثّقافيّة، والسّياسيّة، والاجتماعيّة، فضلاً عن مشاركتها إيّاه في ميادين الجهاد وسُوح القتال.

9- من السّمات المنهجيّة الظّاهرة عند الشّيخ الزّاوي، في التّأريخ والتّرجمة للأعلام، دأبه على استعمال المنهج النّقديّ، في أحيانٍ كثيرةٍ، سواءٌ عن طريق انتقاده الشديد لبعض الفترات والعهود التي مرّت بها ليبيا، وما نجم عنها من سلبياتٍ وأضرارٍ، أم من خلال نقده لبعض الشّخصيات أو الأعلام التي خصّها بالبحث والتقصّي.

10- يضاف إلى ذلك، أن من أبرز مَيْزات الكتابة التاريخيّة التي نلحظها في تآليف الشّيخ الزّاوي، وبخاصّةٍ أعلام ليبيا هي رصانة لغته، وبلاغة أسلوبه، ونصاعة تعبيره، وجزالة ألفظه، وخلوّها من التكلّف السّجعي والقعقعة اللّفظيّة.

11- يبدو أن انشغالات صاحب كتاب أعلام ليبيا أو الظّروف الصّعبة التي أحاطت به، أثناء جمعه وتأليفه،كانت حؤولاً دون قيامه بالتّعريف ببعض الأعلام، أو المواقع في الهامش، أو بترجيح بعض الرّوايات على غيرها، أو بتوضيح بعض الأسماء المبهمة، حتى تتجلّى بذلك الصّورة أكثر عند القارئ، ويزول ما يعتورها من غموضٍ أو لبسٍ أو ضبابيةٍ.

12- وأخيراً، فإنّ ما أبديناه على كتاب أعلام ليبيا في هذا البحث، من بعض الملاحظات أو الانتقادات،أو الاستدراكات، فإنّها لا تقلّل من أهمّيته ولا تنقص من قيمته، وإنّما هي في الوقت نفسهلا تخرج عن كونها عملاً علميّاً مكمِّلاً ومتمِّماً، ليسر غير.

الهوامش:

(1) ينظر: الشيخ الطاهر الزاوي، أعلام ليبيا، ص 44.--**(2)**- ينظر: محمد مسعود جبران، الشيخ الطاهر الزاوي ترجمته وآثاره، من مقدمة كتاب (أعلام ليبيا)، ص22.--**(3)**- محمود علي مكي: صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مج 9 و10، ص 403 و404 .--**(4)**- الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 48.--- **(5)**- الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 44.-**(6)**- المرجع نفسه، ص 48.--**(7)**- ينظر ترجمته في: ابن بشكوال: الصلة 391/1-395؛ الحميدي: جذوة المقتبس 396/1-398؛ ابن بسّام: الذخيرة ق 1/م2/614-616؛ ابن خاقان: مطمح الأنفس، ص 284-286؛ الضبي: بغية الملتمس 433/2، 434 ابن سعيد: المعرب في حلى المغرب 103/1 و104؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء 177/17-180؛ المقري: نفح الطيب 129/2-131.

(8)- أبو الوليد الفرضي: تاريخ علماء الأندلس 25/1.

(9)- من المؤرّخين الذين اشتهرت مقدمات كتبهم بالدقة والإتقان والشمولية نذكر حافظ المغرب الشهير القاضي عياض السبتي (ت455 هـ) في موسوعته الضخمة (**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**) وفي (**الغنية**) و(**الإلماع**) و(**مشارق الأنوار**) وغيرها. ينظر عبد الواحد عبد السلام شعيب:القاضي عياض مؤرّخاً، مطابع الشّويّخ، تطوان، 2000، ص 63-66

(10)- الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 41.---**(11)**- ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص42.--

(12) المرجع نفسه، ص42.--**(13)**- نفسه، ص 43.--**(14)**- نفسه والصفحة.--**(15)**- الشيخ الطاهر الزاوي: مقدمة تحقيق كتاب (التذكار) لابن غلبون، ص 7.--**(16)**- الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 44.--**(17)**- المرجع نفسه، ص 41.

(18)-الشّيخ الطّاهر الزّاوي، من مقدمة تحقيقه للجزء الثاني من كتاب (**المنهل العذب في تاريخ طرابلس**) لأحمد النائب الأنصاري، ص ب .--**(19)**- الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 54.--**(20)**- ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 57 و143 وغيرها.

(21)- ابن بشكوال: كتاب الصلة 824/3.--**(22)**- ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 250 .

(23)- المرجع نفسه، ص 281.--**(24)**- نفسه، ص 117.--**(25)**- نفسه، ص 133.--**(26)**- نفسه، ص 101 .

(27)- الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 42.--**(28)**- المرجع نفسه، ص 51، هامش رقم "2".

(29)- ينظر التّجاني: الرّحلة، ص 662 و663.--**(30)**- الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 55.--**(31)**- المرجع نفسه، والصفحة.--**(32)**- الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 61.--**(33)**- المرجع نفسه والصفحة.---

(34) ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ص 114.--**(35)**- المرجع نفسه، ص 137.--**(36)**- نفسه، ص 91.

(37)- الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 103.--**(38)**- ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ص 16.

(39)- ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: المرجع نفسه، ص 195.--**(40)**- كتاب سيبويه 2/ 285 و286 .

(41)- ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ص 96.--**(42)**- المرجع نفسه، ص 141.

(43)- ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: جهاد الأبطال، ص 228.--**(44)**- ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: المرجع نفسه، ص122.

(45)- المرجع نفسه والصفحة.--(46)- وهذه الطريقة التي سلكها الشّيخ الزّاوي في تآليفه، كانت هي نفسها التي نهجها قبله عددٌ من مؤرّخي الأندلس، أمثال: أحمد بن محمد الرازي، وابن حيّان، وابن حزم، ، وصاعد الطليطلي، والحميدي، وابن الأبّار، وغيرهم الذين لجأوا إلى استخدام مثل هذه المقارنات، وبخاصّة في المقابلة بين بعض الأحداث والوقائع أو الشّخصيّات الأندلسيّة وما يوافقها ويناظرها في المشرق الإسلامي.ينظر مثلاً : ابن حزم: نقط العروس في تواريخ الخلفاء ص 47؛ ابن حيّان بروايةابن بسام: الذخيرة ق 1/م433/1؛ ابن الأبّار: الحلة السّيراء 41/2؛ صاعد بن أحمد الطليطلي: طبقات الأمم ص 156 و157؛ عبد الواحد عبد السلام شعيب: الكتابة التاريخية ومناهجها في الأندلس خلال عصري الخلافة والطّوائف، دار الأمان، الرّباط، 2014، ص 393-397 .

(47)- ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: جهاد الأبطال، ص 124.--(48)- أحمد المقري التلمساني: أزهار الرياض في أخبار عياض، 47/1.

(49)- ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 92، 140، 144، 176، 205، 247، 260، 270، 285، 286، 294، 305، وغيرها.--(50)- ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 236 و237.

(51)-ينظر أحمد الدّائب الأنصاري:نفحات النّسرين والرّيحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، ص 154 و155.

(52) - ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 67؛ وكذلك وردت عند ابن غلبون في (**التّذكار**) ص 260، وكان في هذه السنة (606 هـ) أيضاً--(53)- ينظر التّجاني: الرحلة، ص 274.--(54)- ينظر المصدر نفسه، ص 276.

(55)- ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 70.--(56)- ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 67.

(57)-ينظر التّجاني: الرّحلة، ص 276 .--(58)- ينظر الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 57.

(59)- ينظر الحميديّ: جذوة المقتبس 243/1 رقم 288.

(60)- ينظر في ترجمته: الحميدي: جذوة المقتبس 613/2 رقم 910؛ الفتح بن خاقان: مطمح الأنفس، ص289؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك 15/8-19؛ ابن خير: فهرست ابن خير 371/1؛ الذّهبي: سير أعلام النّبلاء 669/17 و670.

(61)- ابن حيّان: المتين برواية ابن سعيد: المغرب في حُلى المغرب 159/1.

(62)- القاضي عياض: ترتيب المدارك 18/8.--(63)- الذّهبي:سير أعلام النّبلاء 570/17.--(64)- الضّبّي: بغية الملتمس 22/1

(65)-أحمد الدّائب الأنصاري: المنهل العذب 70/2.--(66)- أحمد النائب الأنصاري: المنهل العذب 82/2.

(67)- ينظر عبد الواحد عبد السلام شعيب: الكتابة التاريخيّة ومناهجها في الأندلس خلال عصرَيْ الخلافة والطّوائف، ص58 و59 .

(68)- ياقوت الحموي: معجم الأدباء 472/1 رقم 165 و473 رقم 166.--(69)-الشّيخ الطّاهر الزّاوي: أعلام ليبيا، ص 157.

(70)- ينظر في ترجمته: الذّهبي: تذكرة الحفاظ 1898/4-1304؛ العبر في خبر من عبر 136/2؛ ابن قنفذ القسنطيني: كتاب الوفيات ص 289 و290؛ الصّفدي: الوافي بالوفيات 351/7 و352.

(71)- ينظر أبو عبد الله محمد ولد القاضي عياض: التعريف بالقاضي عياض، ص 102؛ أحمد المقري التّلمساني: أزهار الرّياض 250/4 .

(72)- أبو عبد الله محمد ولد القاضي عياض: التعريف بالقاضي عياض، ص 102؛ أحمد المقري التّلمساني: أزهار الرّياض 250/4 .

(73)- الشيخ الطاهر الزاوي: أعلام ليبيا، ص 171.--(74)- أبو الوليد بن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس 315/1 رقم 532.

(75)- ياقوت الحموي: معجم البلدان 184/3.